Annals of letters and languages حوليات الآداب واللغات
ISSN 2335-1969 E.ISSN 506X - 2602
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/312

مجلة علمية دولية محكمة . كلية الآداب واللغات . جامعة محمد بوضياف .المسيلة الجزائر

المجلد 10 عدد 01: 20 جويلية 2022 صفحة من : 163 إلى 173

قضايا الهجرة غير الشرعية وانعكاساتها في رواية الرجل الخراب

Illegal immigration issues and their reflections on the narration of the ruined man

المؤلف الأول[1]* مرتضى بابكر أحمد عباس

البريد الالكتروني .alfadlapi70@gmail.com جامعة وادي النيل.كلية التربية.جمهورية السودان

معلومات المقال Article info

تاريخ الاستلام :2022/02/24.
تاريخ القبول :2022/04/21.

الكلمات المفتاحية :

الهجرة، الشرعية، انعكاسات، الرجل الخراب

ملخص Abstract

تطرق كثير من الأدباء في رواياتهم للهجرة غير الشرعية وما يصاحبها من آمال وآلام، وما يترتب عليها من مخاطر نفسية وجسدية، إلا إن رواية "الرجل الخراب" تطرح تلك القضية بطريقة مختلفة تماماً على مستوى الشكل الفني الذي كتبت به، والذي يشكّل نقطة التميّز الكبرى فيها.

و يهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى بيان تقنية السرد الحديثة التي اتبعها الكاتب في هذه الرواية وبيان آثار الهجرة غير الشرعية وما يترتب عليها من قضايا ظلت تشغل الرأي العام. بالإضافة لبيان معاناة المهاجر في ظل محاولاته للاندماج في مجتمعاتهم الجديدة.

وقد جاءت الدراسة بعنوان: قضايا الهجرة غير الشرعية وانعكاساتها في رواية الرجل الخراب ".

In their novels, many writers dealt with illegal immigration and the attendant hopes and pains, and the psychological and physical dangers that it entails, but the novel “The Ruined Man” presents this issue in a completely different way at the level of the artistic form in which it was written, which constitutes the major point of distinction in it. .
The researcher aims through this study to show the modern narration technique that the writer followed in this novel and to show the effects of illegal immigration and the consequent issues that have kept public opinion. In addition to showing the suffering of the immigrant in light of his attempts to integrate into their new societies.
The study was entitled: Illegal immigration issues and their reflections on the narration of the ruined man .

Key words:
Immigration- illegal – reflections – ruin man

[1] مرتضى بابكر أحمد عباس :

المقدمة:

الهجرة غير الشرعية من الظواهر الإنسانية التي أطلت بوجهها في السنوات الأخيرة وأخذت حيزا من النقاش والجدل الإقليمي والدولي والتي ألقى بظلالها على الأدب العربي بصورة عامه وعلى الرواية العربية بصورة خاصة.

والهجرة في اللغة: "ضد الوصل ،هجره يهجره هجرا وهجرانا: صرمه ، والهجرة: الخروج من أرض إلى أرض. وهجر الرجل هجرا إذا تباعد ونأى[1].

ولا يبعد معنى الهجرة في اللغات الأجنبية عن دلالاتها في المعاجم العربية ففي القواميس الفرنسية مثلاً الهجرة يقصد بها الإتيان من بلد إلى آخر بنية الإقامة والاستقرار فيه[2].

الهجرة غير الشرعية : يقصد بها مجموعة المهاجرين السريين التي تنطلق من البلد المنشأ وتعبر بطريقة غير قانونية دولة العبور من أجل البقاء فيها لمدة معينة بهدف الوصول إلى الدولة المقصد بطريقة غير قانونية مستعملين لذلك مختلف الطرق البرية التي قد تعبر دولة أو مجموعة من الدول، إذاً هي عبارة عن عملية اختراق غير قانونية لحدود دولة أو العديد من دول العبور أي دخول غير قانوني بهدف دخول آخر غير شرعي للدولة المقصد[3].

تقنية السرد في رواية الرجل الخراب

لعل كل الروايات أو معظمها تبدأ بمقدمات وبتقديم الشخصيات، إلاّ أن بركة ساكن في هذه الرواية بدأ بمشهد الذروة التي يضع حسن درويش أو هاينرش في مأزق كبير يظهر فيه المستور ويعري هذه الشخصية، وهو المشهد الذي تخبره فيه زوجته نورا بأن ابنته ميمي التي تجاوزت الثمانية عشرة بأيام قليلة وجدت صديقا ستأتي به إلى البيت، ويمكن أن تكون هذه ليلتها الأولى.

وقد اعتمد بركة ساكن في روايته على استخدام تقنيات جديدة، تكفر بكل نواميس الرواية التقليدية، يعبث من خلالها بركة ساكن بسلطة الراوي ويتلاعب بكل الشخصيات والأدوار بمن فيهم القارئ، مستعملا أساليب مختلفة كالرمز والصورة الكاريكاتورية والفانتازيا.

فيُدخل نفسه ككاتب إلى هذه الرواية في عملية السرد، ويُدخل الراوي أيضاً، مبيّناً الفرق بينهما، والحدود التي تفصل أحدهما عن الآخر، وكيف أن الراوي يتمرد عليه في كثير من الأحيان، ويأخذ النص إلى أماكن أخرى لا يريدها الكاتب، ليظهر الراوي على أنّه خارج سلطة المؤلف، ثم يسحبه المؤلف، مرة أخرى، ويغيبه من السرد بشكل كامل، وذلك بسبب عدم الوصول إلى "رؤية مشتركة" " بينهما، فيُدخل القارئ في لعبة ممتعة من المناوشات بين الاثنين، "حسناً، أشعر الآن برغبة الراوي في التوقف عن السرد قليلاً، وهذه مشكلة الرواية في هذا العصر، بعدما استطاع الرواة، الذين كانوا في الماضي شخصيات ورقية هلامية من صنع مخيلة الكاتب، أن يسيطروا على مصائر الأعمال السردية، وتكون لهم كلمتهم ووجهة نظرهم، (...) لقد أصبح الرواة سلطة فوق سلطة الكاتب الذي كان يظن نفسه الخالق الفعلي للنص". قد يبدو عبد العزيز عابثًا بتقنيات الرواية التي نعرفها، لكنه عبثٌ بناء، أضفى على العمل أهميته الخاصة .

عبدالعزيز بركة ساكن:

عبد العزيز بركة ساكن من مواليد مدينة كسلا بشرق السودان عام١٩٦٣م ، نشأ وترعرع في مدينة كسلا وذكر البعض في مدينة خشم القربة بالقرب من مدينة القضارف ، تفرد من بني أجياله في حسه الراقي جدا في كتابة الروايات والتي يظنها البعض أنها خادشة للحياء لما فيها من مواقف جنسية لذا تمت مصادرتها جميعها حسب ما اصدرهُ المجلس الاتحادي للمصنفات الأدبية والفنية في الخرطوم ك ثلاثية على هامش الأرصفة (مجموعة قصصية) والجنقو مسامير الأرض و امرأة من كمبو كديس (مجموعة قصصية) . ويقول بركه ساكن في ذلك : " يظن البعض أن في كتابتي ما يسيء لمشروعاتهم الأيدلوجية ويخترق خطاباتهم المستقرة، بالطبع لا اقصد ذلك، كلما أفعله هو إنني انحاز لمشروعي الإنساني أي اكتب عن طبقتي أحلامها آلامها طموحاتها المذبوحة وسكينتها أيضا التي تذبح هي بها الآخر، وحتى لا يلتبس الأمر مرة أخرى، اقصد بطبقتي المنسيين في المكان والزمان، الفقراء المرضى الشحاذين صانعات الخمور البلدية الداعرات المثليين، المجانين، العسكر المساقين إلى مذابح المعارك للدفاع عن سلطة لا يعرفون عنها خيرا، المتشردين ، أولاد وبنات الحرام، الجنقو العمال الموسميين، الكتاب الفقراء، الطلبة المشاكسين، الأنبياء الكذبة، وقس على ذلك[4]".

لبركة ساكن كذلك العديد من الروايات ك رواية رماد الماء و رواية زوج امرأة الرصاص وابنته الجميلة و رواية العاشق البدوي ورواية شهيرة بعنوان مُخَيِّلةْ الخَنَدَرِيسْ[5]. عمل عبد العزيز بركة كاتباً في كثير من الدوريات والمجلات والجرائد المحلية والعربية والعالمية مثل مجلة العربي ، مجلة الناقد اللندنية، مجلة نزوي، مجلة الدراسات الفلسطينية الصادرة في باريس باللغة الفرنسية، مجلة الدوحة القطرية، مجلة بانبال الصادرة باللغة الإنجليزية بلندن، جريدة الدستور اللندنية، مجلة حريات وغيرها، كما أنه عضو في نادي القصة السوداني و عضو في اتحاد الكتاب السودانيين ، وشارك في بعض الفعاليات العربية والعالمية كمهرجان الجنادرية بالمملكة العربية السعودية، ومهرجان القصة القصيرة الثاني بعَمَّان، وورشة كتاب تحت الحرب ببروكسل، وفعالية الفنون بوابة للسياسة في فيينا– النمسا وفيها قرر المعهد العالي الفني بمدينة سالفدن

سالسبورج النمسا بتدريس روايتهُ (مخيلة الخندريس) للطلاب والطالبات، هذا وقد ترجمت الدكتورة إشراقة مصطفى الرواية للغة الألمانية وقام بنشرها المركز الأفريقي الآسيوي بفيينا عام 2011 ، وحصل على جائزة الطيب صالح للرواية على راوايته الجنقو مسامير الأرض عام 2009م [6].

ملخص الرواية:

تبدأ الرواية بذلك الموقف الذي زعزع سكون أسرة درويش وكشف من أول وهلة في الرواية عن ذلك التناقض الكبير الذي يعيشه بطل الرواية حسني درويش والأب العربي؛ المصري من جهة الأم، والسوداني من جهة الأب (حسني درويش)، في ظل محاولاته للاندماج في مجتمعه الجديد، فابنته ميمي صاحبة الثمانية عشر عاماً من زوجته النمساوية (نورا شولز) التقت أخيراً برفيقها (توني) والذي سيقضي معها ليلتها الأولى دون رباط شرعي يجمع بينهم على عادة مجتمع الغرب .

عانى درويش من عقدة الشعور بالغربة وعدم الانتماء منذ نعومة أظافره الأمر الذي ترك بصمة واضحة على شخصيته. فهو الحلبي لاختلاف لونه في وطنه السودان وهو الأجنبي في بلد مصر بلد أمه.

تلقى تعليمه بمصر إلى أن وصل المرحلة الثانوية فأضطر للرجوع إلى مسقط رأسه وامتحن الشهادة السودانية بمدرسة جمال عبد الناصر بالسودان ثم التحق بجامعة أسيوط كلية الصيدلة بمصر، ظلت الحياة رتيبة في تلك الفترة إلا أنه انضم لجماعة إسلامية في أولى أيامه الجامعية ثم بعد تهديد الأمن وحبسه عدل عن فكرة التشدد وتملص من تلك المعتقدات.

تخرج وعمل بصيدلية، في مرة من المرات جاء إليه أحد المهاجرين العائدين ليقضوا إجازاتهم مع أهلهم فحكى له عن جمال تلك البلاد ورغد العيش والحرية الكبيرة التي يتمتعون بها فكان لذلك الحديث وقع خاص في نفس درويش الذي بدأ يفكر في الهجرة، فلملم ما يلزمه وعزم على الرحيل ومغادرة البلاد، وبدأ رحلته بالذهاب إلى ليبيا مستخدماً جوازاً مزوراً ومنها إلى اليونان وكان ذلك بمعاونة من بعض جماعات التهجير التي أخذت منه مبالغ طائلة، قبل أن يتجه إلى بلاد النمسا والتي استقل خلالها مقطورة لترحيل الخنازير تتألف تلك المقطورة من طابقين، كان هو في الطابق الأسفل تحيط به الخنازير من الاتجاهات الثلاثة، ومن الاتجاه الرابع كانت تجلس فتاة ذات عينين متورمتين محمرتين التزمت الصمت. وكان بداية الحديث بينه تلك العبارة التي نطقتها الفتاة : (من المفترض أن تستغرق الرحلة يومين) لتحكي بعدها قصة معاناتها التي أسلمتها لقاطرة الخنازير. دار بينهما حديث طويل عن الظلم الذي يغمرها وأن أسمها ناديا وإنها من راوندا أعجب درويش

بجمالها قبل أن تسلم نفسها له، كان اللقاء حميماً مشحوناً بعاطفة الصداقة التي خلقتها الظروف وصار التواصل بينهم متباعداً مصحوباً بالأحداث الكبيرة في حياة كل منهما.

و بفيينا تحصل على وظيفة (مخري للكلاب) للسيدة لوديا شولز التي كان لها كلبين والتي كانت مقعدة بفعل الشلل الذي أصابها في سن الثمانين حيث كان يقوم درويش بأخذ الكلاب في جولة لتتخلص من فضلاتها ليقوم بعضها بوضع تلك الفضلات في المكان المخصص لها قبل أن يرجع الكلاب لصاحبتها وهكذا، هي وظيفة بلا شك لا ترقى لكونها وظيفة ولكنها المتاحة لأمثاله من المهاجرين غير الشرعيين.

كانت لوديا شولز تعد درويش ابنا لها وتسكنه معها وللوديا هذه ابنة تدعي نورا

عندما أخبر الطبيب السيدة لوديا بتأخر حالتها الصحية واقتراب موعد رحيلها، طلبت من درويش أن يتعرف على ابنتها نورا ، وبعد وفاة لوديا شولز كتبت وصية فحوها منح درويش البيت والسيارة والكلبين. وتركت لنورا بعض المال.

عقدت نورا مع درويش صفقة مناسبة للطرفين فهي بحاجة إلى مأوى وهو بحاجة إلى جنسية ولن يعطوه هذه البطاقة إلا بالزواج من نمساوية.

وافق درويش على الزواج من نورا وقام بتغير اسمه إلى (هانيرش) وتنكر إلى العالم والبلاد التي قد جاء منها والدين الذي يعتنقه بالفطرة، فصار يسكر ويزني، وأحيانا يصلي متى ما أحس بحاجته للتقرب إلى الله ظنا منه أن الاندماج في مجتمعه الجديد وحياته الجديدة هو أمرا يسير، كانت الأمور تسير بشكل طبيعي إلى أن جاءت زوجته بعد فترة من الزمن لتخبره أن توني صديق ابنته ميمي سيقضي معها ليلتها الأولى، وقد كانت هذه الحادثة نقطة التحول والعودة إلى شخصية درويش الشرقي الذي ظن صاحبه أنه اندثر وانصهر تماما في مجتمعه الجديد بكل عاداته وتقاليده، فراح يكلم نفسه عن الشرف وويلات من يفرط بشرفه ولقب الديوث الذي سيلحق به أن هو قبل بما يحدث.

فكر درويش في قتل توني والتخلص منه، فطلب من ابنته ميمي أن تدعوه ليذهب معهم إلى زيارة الجبل الذي دفن فيه رماد السيدة لوديا شولز وهذا الأمر هو جزء من عاداتهم ، وافق توني وبعد انتهاء الرحلة وفي طريق العودة قام درويش بدفع توني من أعلى الجبل. إلا أن توني لم يمت إذ أنه تمسك بشجره وظل متعلقا بها لحين إنقاذه، وردا على فعل درويش ذلك قامت زوجته نورا بدفعه من أعلى الجبل وأردته قتيلاً، وشهدت ابنته ميمي رغم حزنها على وفاته بشهادة كانت لصالح أمها وأقفلت القضية على أنها قضية انتحار.

الهجرة غير الشرعية وانعكاساتها في رواية الرجل الخراب:

تتناول الرواية مجموعة من القضايا الشائكة المتعلقة بالهجرة غير الشرعية، التي قد يلجأ إليها المهاجر بحثا عن واقع أجمل ومستقبل يكفل له حياة كريمة، ليعيش بعد ذلك على هامش الحياة ويتعرض يوميا لنكبات عقلية وأخلاقية وأضرار نفسيه وجسدية قد تصل أحيانا لحد الموت، وابرز تلك المخاطر تتمثل في ما يلي:

أولا: الإرهاب وتجار الأعضاء:

تطرح الرواية موضوع الهجرة غير الشرعية وما يصاحبها أحياناً من حكايات عن تجارة الأعضاء والعنف الذي تستخدمه العصابات ضد أشخاص سلموها أنفسهم طوعا طمعا في الخلاص، قد يصل ذلك العنف إلى حد المتاجر بأعضاء المهاجرين غير الشرعيين. فناديا التي التقى بها بطل الرواية حسن درويش في خلال هجرته على متن شاحنة نقل الخنازير إلى النمسا وهي فتاة من راوندا، تنتمي إلى أقلية "التوتسي"، التي ترزح تحت سيطرة الأكثرية الراوندية "الهوتو". وقد تعرضت هذه الأقلية إلى الكثير من التصفيات والمضايقات، ما أجبر بعض المنتمين إليها أن يهجروا أرضهم ويسافروا.

تعرضت ناديا لأبشع أنواع الاغتصاب المستمر بعد أن وقعت ضحية لتجار الأعضاء في طريق هجرتها تقول:" من المفترض أن أكون الآن ميتة، وعظامي ترقد في صحراء سيناء مع مئات الجثث التي تحنطها الشمس والرمال الحارقة، لم تكن لدي نقود لأفدي نفسي، ولا لأسرتي مال يرسلونه للمختطفين...قلت ذلك بوضوح لشيخ من البدو، وهو الحاكم الفعلي للخاطفين، واقترحت عليه أنني أستطيع أن اجلب له مالا كثيرا جدا إذا تركني في حجرة وأدخل علي من رجال عصابته من يريدني، فهم بلا نساء يقيمون في معسكرات صحراوية لشهور كثيرة أعجبته الفكرة، وبدأ هو بنفسه[7]. ثم توالى عليه الرجال بعد ذلك. وتذكر كذلك قصة الشاب الإريتري "حقوس" ذلك الشاب المهاجر الذي حاول الهرب من العصابة وقبضوا عليه عند الحدود الإسرائيلية فذبحه زعيم العصابة كالشاة " وعلق جثته على عمود أكبر بقليل من العمود الذي علق عليه " السيد المسيح" قبل عشرين قرنا من الزمان في مكان ليس ببعيد عن هذه الصحراء القاحلة[8]".

كذلك تعود ناديا لتواصل قصتها مع تجار الأعضاء فتقول: " في اليوم الرابع، أتاني الشيخ البدوي وقال لي:" إن ما قمت به كثير، ولكنه لا يكفي لثمن إطلاق سراحي، وعلي أن أبيع إحدى كليتي لتغطية الفرق الذي قدره بألف دولار، ستأتي العيادة المتحركة وبها جراحون أكفاء مهرة، وقال لي إن العملية بسيطة جدا، وإنها لا تؤثر على حياتي المستقبلية، وبعد العملية سيقوم بنقلي إلى المدينة وهناك ستعتني بي الحكومة

المصرية... إنهم عادة يأخذون الكليتين والقلب والعينين وبعض الدم أو جله، وكل ما هو مفيد في جسم الإنسان ويمكن نقله لإنسان مريض آخر ينتظر في مكان ما ولديه مال يشتري به البضاعة، ولكن معك سيكون الأمر مختلفا، مجرد كلية واحدة لا أكثر[9].

تقول :" بكيت كثيرا جدا، ولكن عندما أتت غرفة العمليات المتحركة – وهي عربة صغيرة– كنت قد أغمي علي وأنا أرى أصدقائي يخرجون منها جثثا هامدة تسيل دماؤهم من على نقالات صدئة، حيث ترمى جثثهم في حفرة كبيرة في جوف الرمال الحارقة[10].

ثانيا: اختلاف العادات والتقاليد ومحاولات التعايش والاندماج:

يتناول عبد العزيز بركة ساكن في روايته "الرجل الخراب"، قضية اندماج المهاجر العربي في المجتمع الأوروبي، والصعوبات التي يعانيها، بسبب الاختلافات الكبيرة في العادات والتقاليد وما يفرضه عليه المجتمع الجديد.
يظهر الكاتب في هذه الرواية شخصيتان متناقضتان متوازيتان تنتميان إلى عالمين مختلفين تعيشان داخل شخصية واحدة شخصية درويش/هاينرش.

شخصية تطرح مشاكل المجتمع الغربي، التفكك الأسري، الانحلال الأخلاقي، المخدرات تتمثل في شخصية درويش. وشخصية تطرح مشاكل المجتمع الإسلامي، الإرهاب، التعصب، القتل الأعمى تحت مسمى "الجهاد" تتمثل في شخصية هاينرش. هذا الصراع الذي كان يعيش بداخله بطل الرواية والذي يعد المحرك الأساسي في أحداث الرواية، فالنقطة الحاسمة التي تبدأ عندها أحداث الرواية هي تلك اللحظة التي ستخبر الزوجة فيها زوجها درويش أن صديق ابنتهما آت ليمضي الليلة معها، وأن هذه الليلة "ستكون ليلتها الأولى"، وعليه أن يبارك ذلك ويقبل به. فتبدأ ترسبات الماضي بالظهور، ويعيش درويش كمّاً هائلاً من الصراع بين ما تربى عليه في بلاده، حيث يعتبر تفريط المرأة بشرفها عاراً لا يمحوه سوى الدم، وبين ثقافة البلد الذي يعيش فيه الآن والذي يقدس حرية الجسد، ويعتبره شأناً شخصياً بالفرد نفسه. يبلغ هذا الصراع مداه حينما يسرح درويش بالذاكرة يوم أرد ذبح ابنته فقط لأنه شك بأنها كانت خارج المنزل في زقاق (الرجل الميت) مع رجل ما، وشاهدهم بعض المارة وهم متأكدون من أنها هي، في ظل إنكار وإصرار ابنته بأنه كانت في المرحاض وأنها لم تغادر المنزل مطلقاً ولم يتركها إلا بعد أن قامت الأم العجوز وأم ابنته والقابلة بالكشف عليها والتأكد بأنفسهن من أنه كما خاطته لها القابلة ذاتها قبل 15 عام[11].

وها هو اليوم يسمح لابنته الثانية من الأم النمساوية " أن تفعل الحرام ويزني بها رجل غريب، أمام عينيه، بل بمباركته هو شخصياً في الغرفة المجاورة لغرفته، وعليه أن يبتسم" .

أعطى هذا المشهد المجال لبركة ساكن للمقارنة الواضحة بين ثقافتين مختلفتين، ثقافة تقدس الحرية وتعتبر العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة شخصية ليس لأحد أن يتدخل فيها، وبين ثقافة أخرى مازالت تعتبر المرأة في مرتبة دونية، وتعتبرها شرف العائلة، التي ينبغي أن يصان ويبتعد به عن مواضع الشبهات، وقد تزوج عنوة ومن دون استشارتها في بعض الأحيان.

لأول مرة في حياته يحس بخطأ فصل ابنته من حصص الدين الإسلامي، ربما اكتسبت تلك القيم التي تمنعها من الخلوة برجل حتى إذا كان المجتمع وأمها لا يريان مشكلة في ذلك"[12].

ولكن ذلك الإحساس بالذنب وتأنيب الضمير، تراجع بسرعة كصخرة أطلقت من قمة جبل، عندما تذكر السبب الذي أوقف ابنته عن الذهاب لحصص الدين الإسلامي ومقاطعة دروس المعلم الآسيوي، قال في سره: " قد نكون الآن من ضمن الموتى، وقد تكون هي الآن في سجن مظلم في مكان ما[13]. هنا يكشف نظرة الغرب للدين الإسلامي ولرجال الدين وتصنيفهم على أنهم جماعات إرهابية متعصبة تبيح دماء الغير تحت مسمى الجهاد.

ثالثا: إشكالية الهوية والانتماء.

بطل الرواية درويش ولد في السودان لأب سوداني وأم مصرية، طاردته لعنة الانتماء منذ كان طفلاً، بعد أن رفض مدير المدرسة الابتدائية في مصر تسجيله لأنه "أجنبي". من هذه الحادثة وُلد سؤال الهوية، الذي سينمو ويكبر مع الوقت ليقضّ مضجع درويش، ويؤرقه.

تزخر الرواية بأسئلة الهوية، وإشكاليات الانتماء. يبدأ وعي حسن درويش بذلك الجانب في مرحلة مبكرة من حياته، عندما وجه له مدير المدرسة كلمة "أجنبي"، حيث قال مدير المدرسة مخاطبا أمه :" لا يمكن قبول طالب أجنبي إلا بقرار من الوافدين، وعليك أن تذهبي أولا إلى مبنى التحرير بالقاهرة، وقبله للسفارة السودانية"

"لم يغضب عندما قال له مدير المدرسة : إنك سوداني" ولكن الكلمة التي أغضبته وغاظته لأنه لا يعرف معناها في ذلك العمر بصورة واضحة واعتبرها شتيمة وغاظته أيضا بعدما عرف معناها بسنوات كثيرة هي كلمة " أجنبي" وظلت هذه الكلمة ترن في أذنه بذات نبرات نطقها من فم المدير، ومازال يذكر حركة شفتيه وتعبير عينيه، وكيف أن أمه فزعت لسماعها ، وكيف أنها صرخت في وجه المدير وهو يتهم

ولدها بأنه أجنبي : سوداني نعم ما قلناش حاجة، ولكن أجنبي لا[14]. وكان المقصود أنّه سوداني في مصر، ونقل تلك المفردة التي شعر معها بالإهانة إلى البلد الذي هاجر إليه.

ظلت إشكاليات الهوية وأسئلتها تطارد درويشا إلى أن وصلت مرحلة الجلوس للشهادة الثانوية التي بموجلها سيدخل الجامعة، وهنا عمل بنصيحة الجميع، حيث لا يوجد هنالك مسئول يخاف لسان العمدة أو سلطته، وعليه أن يعود إلى السودان ويجلس للشهادة في مدارس البعثة التعليمية المصرية التي تسمى " مدارس جمال عبد الناصر" ويمكنه من هنالك أن يتقدم للقبول بالجامعات المصرية في الكلية التي يؤهله مجموعه لها دون مصاريف دراسية تذكر، وسيعامل معاملة الطلاب السودانيين الآخرين الوافدين من السودان[15]".

لم يجد درويش ما يعصمه من سؤال الهوية سوى الانغماس في مجتمعه الجديد، وحمل اسم جديد يتواءم مع بيئة قذفته الأيام إليها، ليغَيّر اسمه من حسن درويش إلى شولز هاينرش فعاش ما بين صراع الموطن الأول والثقافة التي يحملها والثقافة التي فرضت عليه.

ويظهر صراع الهوية والحديث عن أصله العربي الذي كان يكافح لإخفائه حينما حدثته زوجته عن صديق ابنته واصفة له " ... ولا يؤمن بأي من الرسل، ولكنه يؤمن بأن هنالك خالقا للكون، ولكن ليس هو الذي يرسل رسلا لكي يخبروا الناس عنه، في رأيه أن الرب قادر على توصيل ما يريده مباشرة لمخلوقاته، والرب في استطاعته أن يخلق كونا بهذه العظمة والتعقيد، لا يصعب عليه حيلة ابتكار عملية سهلة وجيدة في التعبير عما يريد أن تكون عليه مخلوقاته، بل باستطاعته برمجتها على مشيئة جلالته، بالتالي ما يكون عليه الكون الآن هو بالفعل إرادة الله. وتعرف نورا أن زوجها قد يكون متحفظا بعض الشيء عندما يعرف ذلك في يوم ما قالت له: توني أيضا لا يكره العرب. وهذه الجملة الأخيرة أخافته بالفعل، فلنقل أربكته، ولو أن زوجته كانت تظن أنها من الإيجابيات، إلا أن درويشا أو هاينرش منذ أن قدم إلى النمسا في تسعينيات القرن الماضي قد قطع علاقته بكل ما هو مسلم وعربي. نعم إنه في الآونة الأخيرة أخذ يسافر كثيرا لزيارة أسرته بمصر والسودان، ويضع ذلك في إطار العلاقات الاجتماعية والإنسانية لا أكثر. قد لا يريد أن يورط نفسه في تحمل ما يقوم به المسلمون والعرب في شتى أنحاء العالم من خير وشر، ولكنه كان يفضل أن يبدأ حياته من جديد من دون تاريخ، تماما من أي تاريخ، ولا يمكن أن نفسر تغيير اسمه إلى هاينرش بأنه واحد من عمليات محو تاريخه الواعية جدا فهو لم يفعل ذلك إلا لأنه إذا أراد أن يحتفظ باسمه العربي عليه أن يدفع ما يعادل اليوم مبلغ 500 يورو عن كل اسم، أي ألفا وخمسمائة يورو إذا أراد أن يكون اسمه " حسني درويش جلال الدين" هذا إذا أقنع دائرة الهجرة أن " جلال الدين" هو اسم واحد، وإلا لكان عليه دفع ألفي يورو كاملة. وكان يحتاج النقود في أشياء أخرى، ولا يرى أن هنالك داعيا ملحا لخسارة مبلغ كبير كهذا، لذا لم يحتفظ بأي من أسماء أسرته أو حتى اسمه، فاختار أول اسم ورد إلى ذهنه، وهو "هاينرش" ثم أضاف إليه كلمة " شولز" وهو اسم أسرة زوجته.

هاينرش يجب أن يبتعد عما يسميه " منطقة الغليان" و " سيرة الغليان" بل رائحته أيضا، فقد بدأ حياة جديدة منذ زمن ليس بالقصير، ولا يريد أن ينظر للوراء مرة أخرى، إلا بريبة وظنون، فكلمة " عربي" هنا مرادفة لكلمة " مسلم" ويفهم كثير من الأوروبيين أن الكلمتين ترادفان ثلاث كلمات أخرى وهي " الثراء الفاحش"، و" الفقر المدقع" و" التطرف الأعمى[16]".

إلا إن درويش قد فشل أيما فشل في تحقيق انسجام بين أي من الهويات التي عاينها، فتشكل لديه نوع من الحسّ المهدم والذي وقع هو نفسه ضحية له .

الخاتمة:

في ختام حديثنا نشير إلى أن هنالك عدة عوامل ودوافع تتحكم في الهجرة غير الشرعية في العالم بصورة عامة والبلاد العربية بصورة خاصة منها ما هو امني ومنها ما هو اقتصادي ومنها ما هو ديني.

ولقد تناول الكاتب في هذه الرواية سببين أولهما سبب امني يتمثل في حديثه عن الفتاة الراوندية (ناديا) وسبب أخر اقتصادي يتمثل في هجرة بطل الرواية (درويش).

ولقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج:

1- تمثل رواية الرجل الخراب لوناً جديداً من ألوان السرد الروائي الذي اعتمد فيها الكاتب على تقنية جديدة جعلت من الراوي والمؤلف في حالة صراع ينتهي بغياب الراوي من المشهد بعد عدم الوصول إلى رؤية مشتركة.

2- رواية الرجل الخراب من الروايات التي تمتاز بالواقعية والجرأة في حديثها عن معاناة المهاجرين غير الشرعيين.

3- سلط الكاتب الضوء على الصراع الديني النفسي الذي يعاني منه المهاجر العربي المسلم في ظل معطيات مجتمعاتهم الغربية الجديدة.

4- يشير الكاتب ضمنياً في روايته لأثر التنشئة الدينية الأسرية والمدرسية في اكتساب المرأة للقيم الخلقية الرفيعة التي تكفل لها الكرامة والعزة.

5- تناول الكاتب إشكالية الهوية ومحاولات اندماج المهاجر العربي وما يترتب عليها أحياناً من فشل في التعايش وخلق نوع من الحس المهدم لدى المهاجر.

الهوامش

1-ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، 252/5

2- فريد أمعضشو: الهجرة المغربية إلى أوربا في الحاجة إلى مقاربات بديلة، مجلة السياسة والاقتصاد ، العدد 23، 2013م، ص112

3- رؤوف منصوري: الهجرة السرية من منظور الأمن الإنساني ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القانون العام ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة سطيف، الجزائر، 2014م، ص25

4- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

5- تام : عبدالعزيز بركه ساكن عن روايته الجنقو ، تموز نت، 24/نوفمبر 2020م

6- المرجع السابق

7- عبدالعزيز بركه ساكن: رواية الرجل الخراب ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2015م، ص41

8- المرجع السابق : ص42-42

9- نفسه: ص43

10- نفسه : ص43

11- نفسه: ص69-70

12- نفسه : ص71

13- نفسه: ص71

14-نفسه: ص58

15- نفسه: ص60

16- نفسه: ص12-13

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، 252/5

2- تام : عبدالعزيز بركه ساكن عن روايته الجنقو ، تموز نت، 24/نوفمبر 2020م

3- عبدالعزيز بركه ساكن: رواية الرجل الخراب ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2015م، ص41

الأطروحات:

- رؤوف منصوري: الهجرة السرية من منظور الأمن الإنساني ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القانون العام . جامعة سطيف، الجزائر، 2014م

المجلات والدوريات:

- فريد أمعضشو: الهجرة المغربية إلى أوربا في الحاجة إلى مقاربات بديلة، مجلة السياسة والاقتصاد ، العدد 23، 2013م.

مواقع الالكترونية: - موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.